أن ينعتق تراب القدس « بالعدل وللعدل » . البطريرك لم يربط اورشليم بذكرى المسيح الا عبورا وتلميحا ولكنه رأى القدسية . ولا في عدالة القضية ، في فلسطينيتها . وهذا، في اعتقادي ، المساهمة المتميزة التي روادها بين المسيحيين مشارقتهم .

هؤلاء هم أبناء هذه الارض العربية في منبتهم وتراثهم وتطلعاتهم المستقبلية . الانسان اللاصق بالارض هو المعطية الاولى . واما الاماكن المقدسة فيتحدد وضعها اولا بالنسبة الى هذا الانسان الداني اليها من معايشة يومية ومودة . واما القاصي فهاجسه الاول حمايتها او ضمانتها . نبرتنا نحن هذه البشرية المقدسية المؤلفة قلوبها للمجيء بالانسان الجديد الحر . تتلاقى فيه حضاريا ، بصورة لا نستطيع تحديدها بعد ، روافد اليهودية والمسيحية والاسلام . وما يبهج النفس ان البابا بولس قد تجاوز ، في غير تصريح ، اشكالية الاماكن المقدسة حتى القول بحقوق الفلسطينيين . يبقى الرباط العضوي بين القدس وفلسطين الذي جعله الياس الرابع امرا مبينا بقوله : « فلسطينية القدس هي الوجه الانساني والكوني الذي به تطل على العالم » . القدس ، اذ ذاك ، تحمل معنى التجاوز للطابع العبري الحصري المستحدث والمنقطع عمليا الفي سنة . وقد وقف البطريرك الموقف الشمولي المستقبلي اذ الفلسطينية تحتوي اليهودية اذا خلعت الثوب الصهيوني ونهدت الى انسانية الانبياء وتراثها الصوفي . ولعل المؤتمر ، لما تحدث عن الطابع الاسلامي للمدينة ، قصد هذه الاحتوائية . أما الاسلام من حيث هو دين قائم بذاته (اليوم أكملت لكم دينكم ورضيت لكم الاسلام دينا) ، الاسلام بالمعنى الخاص فليس بالواقع — على الصعيد العمراني والاثري — الصبغة الغالبة على المدينة . اما على صعيد البنية السياسية فقد تجاوزت المقاومة المنظار المذهبي وهي — في كل فصائلها — لا طائفية .

نحن مع المسلمين في مخاطبة وجودية في كل الارض نرجو ان يخمرها الود تخميرا طيبا . في المعاصرة وذوق فلسطين يرتسم لهذه المخاطبة محور . وفي طمأنينة الحرية تحلو وتبتسم .